ملعونةٌ عائلةُ يعقوب .. ومباركةٌ أيتها القافلة

مَـنْ منّـا يـسمع بعائلِـة يعقـوب .. ؟ بـل مَـنْ منـا لا يُبجّلهـا ويعظّمهـا ..؟ كيـف لا ، وهـي تفـاخر أمـام العـالمين بأنهـا عائلـة يعقـوب عليـه الـسلام !!؟ وابنهـا يوسـف نبـيّ الله ، والأمـين علـى خـزائن الأرض ..!!؟ وهـل يجـوز للعـالمين طّـرّا أن يتجـاهلوا ، أو يجهلـوا يوسـف ، ونبوءتـه الـصادقة !؟ كلّنـا نعـرف هـذا ، والعـالم كلّـه يعرفـه . فهـو المتنبـيء بالغـد ، والمفـسِّر للأحـلام ، وهـو الـصّادق الأمـين ، وهـو الـذي اجتبـاه ربّـه ، وعلّمـه مـن تأويـل الأحاديـث ، وقـد طبَّقـت وسـامته الآفـاق ، حتـى راودتـه زوجـة عزيـز مـصر عـن نفـسه ، " ولقـد هَمَّـت بـه " ، " وقـدت قميـصه مـن دُبُـر " ، وكانـت مـن الكـاذبين ، وهـو الـذى أكبرتـهُ نـسوة المدينـة ، " وقطّعـن أيـديهُنّ وقُلْـنَ حـاش لله ماهـذا بـشراً إنْ هـذا إلا مَلَـكٌ كـريم " ، حتـى كـاد يـصبو إلـيهنّ . وهـو بعـد ذلـك تنبّـأ بمـا سـيؤول إليـه حـال مـصر ، وسـنيها العجـاف ، بعد سنيها السِّمان ، ويبسها بعد اخضرارها ..

إذن ، مـن حـقِّ عائلـة يعقـوب أن تتفـاخر ، وتعظّـم نفـسها ، فهـي مباركـة و عظيمـة ، أبوهـا يعقـوب الكظـيم ، وابنهـا يوسـف . ألا تـستحقُّ التكـريم ، والتفـضيل !!؟ وأن تطلـب أن يفـتح لهـا الطريـق .. فـي المطـارات . والأفـراح وكـلِّ المناسـبات الاجتماعيـة ..، وحتـى المـؤتمرات – إنْ وُجـدت – وأن يـشار إلى إخوة يوسف بالبَنان !!؟ ياله مِن مجدٍ مَنَّ الله على هذه العائلة !!

هـذا ماكنـا نعرفـه عـن عائلـة يعقـوب ، وهـو قَمـينٌ باحترامنـا لهـا ، وتقـديمها علينـا ..! ولكـنْ ، لـنعلم أنهـا ملعونـة عائلـة يعقـوب .. وأنهـا ليـست مجيـدة ، ولا مباركـة . تلـك هالـةٌ مزيفـة خُلقـت حولهـا .. وتمجيـد فـي غيـر محلـه لعائلـة يعقـوب التى لا تستحقه .

ملعونـةٌ عائلـة يعقـوب ؛ حتـى وإن كـان جـدُّها إسـحاق ، وابنهـا يوسـف . إنهـا مـن أحـطِّ العـائلات ، وأشـدّها كفـراً ، ونفاقـا .. وإنهـا حَرِيّـة بـالخزي والتحقيـر . ألـم يـدِّعو أنهـم حُـرّاسُ يوسـف مـن الـذئاب !؟ وأنهـم المؤتمنـونَ عليـه دون العـالمين !!؟ وأنهـم لـه لحـافظون !!؟ ألـم يقـلْ لهـم أبـوهم : " وأخـاف أن يأكلـه الـذئب وأنـتم عنـه غـافلون قـالوا لـئن أكلـه الـذئب ونحـن عُـصبة إنـا إذاً لخاسـرون " .. ؟

ملعونـــة عائلـــة يعقــوب . لقــد ســوّلت لأبنائهــا أنفــسُهم أمــرا ً حقيــرا ً ، فتــآمروا علـــى يوســـف نبـــيٍ الله ، قـــالوا : " اقتلـــوا يوســـف أو اطرحـــوه أرضـــا ً " وقـــد اختــصموا ، وتنــازعوا ، واختلفــوا حــول الطريقــة التــى يتــآمرون بهــا علــى يوســف ، ويخونــون أبــاهم يعقــوب عليــه الــسلام . " قــال قائــل مــنهم لا تقتلــوا يوســف وألقــوُه فـــى غيابـــات الُجـــبّ " . لكـــنّ يوســـف كـــان يعلـــم بهـــذا ، " وهـــو لا يـــشعرون " ، " وجاءوا على قميصه بدمٍ كذب " .

ملعونـــةٌ عائلـــة يعقـــوب ، كذّابـــةٌ ، وغـــادرةٌ ، وخائنـــة ، لقـــد عَـــرَّوْا يوســـف مـــن ثيابـــه " أقـــصد أبناءهـــا " ، وَشَـــوّهوها بـــدمٍ مزيـــف ، وأبعـــدوه عـــن النـــاس ، وألقَـــوْا بـــه فـــى الُجـــبّ . فعلـــوا كـــل ذلـــك ؛ ويوســـف يـــسمع ، ويـــرى ، ولكنـــه لـــم يـــصرخ فـــي وجوههم ، ويقلْ لهم : خونة ... قذرون ... غَدّارون .. أنتم إخوتي !!؟

يوســـف كـــان صـــابرا ً صـــبرا ً جمـــيلا ً ، بمـــا أوحـــى الله إليـــه : " لَتُنَبِّئَـــنَّهُمْ بـــأمرمهم هـــذا " ، وكـــان بريئـــاً بـــراءة الـــذئب مـــن دمـــه ، بـــل كـــان يبتـــسم لهـــم ، ويـــداعبهم ، وهـــم يحفـــرون لـــه فـــي الُجـــبّ ، كـــان يعـــرف ذلـــك ، يعـــرف أنهـــم فاشـــلون ، ولـــم يقـــل لهـــم : إنكـــم تغـــدرون بـــي ، وتكـــذبون علـــى أبـــي . ولـــم يَقُـــلْ لهـــم : ســـأنبئكم بعملكـــم هـــذا ، فـــي يـــوم مـــا ، وتَـــسْوَدّ وجـــوهكم ، وأنـــتم مـــذنبون ، مـــدينون ، ومحقرون من العالمين .

هـــم أيـــضا ً كـــانوا فـــى وجهـــه يـــضحكون ، إمعانـــا ً ، فـــي الغـــدر ، والحليـــة الفاشـــلة ، وكـــانوا مـــن ورائـــه يمكـــرون . " ويمكـــرون ويمكـــر الله والله خيـــر الماكرين " .

ملعونةٌ عائلةُ يعقوب .. ومباركة أيتها القافلة !!

نعـــم ، إن القافلـــة هـــي التـــى أخرجـــت يوســـف مـــن غيابـــات الُجـــبّ ، انـــصرف إخوتـــه عنـــه ، وأدلـــت القافلـــة دلوهـــا فـــى الُجـــبّ ، ووجـــدت يوســـف فيـــه . وإن القافلـــة المباركة أنقذته ، والمدينة أكرمت مثواه .

ملعونةٌ عائلةُ يعقوب ... ومباركةٌ أيتها القافلة !!

مَـــنْ مِنّـــا بعـــد هـــذه الفـــضيحة ، يحتـــرم ، أو يُبجّـــل عائلـــة يعقـــوب ؟ ومَـــنْ يأمنهـــا بعـــد هذا على يوسف ..؟

ولكـــن إخـــوة يوســـف لـــم يقتلـــوه .. وكـــان فـــي إمكـــانهم هـــذا ، لأنهـــم الحَفَظَـــةُ عليـــه !! حقـــا لـــم يقتلـــوه ، إمـــا لأنهـــم اختـــصموا ، واختلفـــوا فـــي هـــذا الـــشأن – كمـــا ورد فـــى تقريـــر القـــرآن – وإمـــا لأنهـــم لـــم يقـــوَوْا علـــى ذلـــك . أو لكـــونهم إخوتـــه ، فـــلا تتحّمـــل

قلوبهم رؤية دمه الحقيقي ، وأن تتحمّل دماً كذباً غير دمه ، وفضّلوا أن يموت تدريجياً في الُجبّ ، أو لكونهم إخوته كذلك ، لم يقرروا قتله بأية طريقة كانت ، وتركوا مصيره في يد القافلة التي يبدو أنهم يعلمون أنها لن تتركه " قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألْقُوه في غيابات الُجبِّ يَلْتَقِطْهُ بعضُ السيّارة إن كنتم فاعلين " وأغلب الظن أن الخوف من أبيهم وغيره هو السبب.

ملعونةٌ عائلةُ يعقوب ... ومباركةٌ أيتها القافلة !!

ومخدوعون نحن ، عندما أكبرنا عائلة يعقوب ، لأن ابنها يوسف ... وَبَهَرَنَا ذلك الموكب المهيب من الكواكب ، والشمس ، والقمر ، حول يوسف ، قلنا : يالها من هالة عظيمة تحوط يوسف من عائلة يعقوب !!وفضّلنا ، أو أجبرنا على أن نتفرج من بعيد ، بأفواهٍ فاغرة !! وإذا أغلقناها نُصفّق بحرارة " إني رأيت أحدَ عَشَرَ كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " .

" لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين " .. ماذا لو لم تفتضح هذه العائلة ...؟ ويشرع إخوة يوسف في تدبير هذه الخيانة المنكرة ، التي وجلت من فظاعتها القلوب ... ؟ وتكاد السموات يتفطّرْنَ من شدة وقاحتها ، وتنشَقُّ الأرض ، وتخرّ الجبال هدّا ، وتدبّ قشعريرة التقزّز في أبدان سامعيها !!؟ لقد أتت عائلة يعقوب شيئاً إدًّا .

ماذا لو احتفظت بمجدها ومكانتها بين العالمين ، وعاش إخوةُ يوسف حواريين من حوله ، يحرسونه ، ويدبرون أمره ، ويسمعون قوله !!؟

ألم يستغفر لهم ربهم بعد هذا كله !!؟ و " آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سُجّداً وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤيَايَ من قبل قد جعلها ربِّى حقا وقد أحسن بي إذْ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو " .

ولكنْ ، حسناً فعلت عائلة يعقوب ، لولا هذه الفضيحة الشنيعة ، أو الشُّنْعة الفاضحة . أي أن عائلة يعقوب شائع ومفضوحة ، بعد أن كنا نحسبها محترمة ، ومباركة ، لا لأنّ لها مجداً تليداً في الغابرين ، أو أن لها مالاً ممدوداً ، أو ماءً مسكوبا ، أو بيتا معموراً ، أو سقفاً مرفوعاً ... على العكس تماماً ، فهي – أصلاً – عائلة مجهولة ، محتقرة ، وضيعةٌ ، تابعة ، تسكن البادية – كما هو مذكور في القرآن – وهي عائلة بطبيعة حالها من الرّعاء ، وأقصى انتصارٍ لإخوة يوسف كان يمكن تحقيقه ، هو الانتصار على

ذئب ، أو ثعلب ، ولا يحلمون بالانتصار على الامبريالية والرجعية . هذا المجد العالمي العظيم ، لا يدور في مُخَيِّلة أحد من أبناء عائلة يعقوب ، ولا تحلم بمجد مصر وخزائنها ، إلا يوسف الذي كان يرى الغد ، واختصّ بتأويل الأحاديث . لولا هذه الفعلة ؛ ماذا كان حال عائلة يعقوب ؟ بل ماذا كان حال العالمين معها ..!؟ ألم تنجب لهم يوسف !!؟ وكان يمكن أن تكتسب حق الإخراج في طريق السّابلة ، لا لأنها عائلة يعقوب ، التي أنجَبَتْ يوسف ، الذي أوحى الله إليه ، وجعله نبياً ، وأميناً على خزائن الأرض ، ومفسِّراً للأحلام ، وتعشَقُهُ النِّسوة ...

حمداً لله ، الذى كشف لنا عائلة يعقوب فى القرآن الكريم ، واتّضَحَ أنها لم تكن حفيظة على يوسف ، بل كانت تكيد له كيداً ، وتمهله رويداً ؛ فهو يبنى لها مجداً ، وهي تحفر له جُباً .

إن أبناء يعقوب خبثاء ، وتافهون ، فيوسف يبني لهم بيتاً من العزة ، وهم يخرِّبونه بأيديهم .

ومع هذا ، يجب إنصاف من يمكن إنصافه من عائلة يعقوب ؛ إذا كان فيها مَنْ ينصف ... نعم ، يبدو أن أكبرهم ، وأصغرهم ، الذى هو أخ لهم من أبيهم – كما ذكره القرآن – فأكبرهم هو الذى أشار على حثالة عائلة يعقوب الخائنة بألاّ يقتل يوسف ، وأن يلقى في الُجبِّ ، تلتقطه بعض السيِّارة .. أمّا أخوهم من أبيهم ؛ فهو الأصغر ، الذي كان إلى جانب يوسف .. وكان مكروهاً من قِبَلِ أبناء تلك العائلة الملعونة ، وهو الذي أرادوا أن يتخلصوا منه ، وأن يغدروا به ، كما غدروا بيوسف ، حيث تركوه رهينة في مصر ، عندما ذهبوا إلى يوسف يمتارون ، وكانوا له ناكرين .

ملعونةٌ عائلةُ يعقوب ... مباركةٌ أيتها القافلة .